ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة المعيار
AL-MIEYAR Journal
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/317

المجلد:13 العدد: (01) جوان 2022 ص525/511

البنية اللغوية للخطاب الحجاجي في أدب الثورة قصيدة حالة حصار أنموذجا

The linguistic structure of the argumentative discourse in the literature of the revolution , the poem of siege (Hissar) as a case of study

رشيد جميل*	أ . د عمار ساسي *
جامعة البليدة 2 (الجزائر)	مخبر اللغة العربية وآدابها – جامعة البليدة2
rachidjamile@gmail.com	dr.saciamar@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2020/...../.....
تاريخ القبول: 2020/..../...

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الخطاب:
- ✓ البنية اللغوية:
- ✓ الحجاج:

ليس من السهل التعريف بالخطاب أو البحث عن مفهوم جامع و مانع له فتحديده يبقى مسألة نسبية هذا ما جعل كل باحث أو مفكر يعرّفه من وجهة نظره الخاصة التي ترتبط بالخوصصة المعرفية، وتؤكد الدّراسات أنّ مفهومه غير متّفق عليه لتعدد الموضوعات التي يطرحها، ولذلك كان سعينا في هذه الدراسة إلى الولوج إلى عالم الخطاب من جانبه الفني لا غير، تاركين باقي الخطابات لدراسات تعنى بهذا الجانب.

Article info

Accepted: 21/04/2022

Keywords:
- ✓ discourse:
- ✓ linguistic structure:
- ✓ argumentation:

Abstract :

It is almost certain that defining the Discourse or searching for its all-encompassing concept is not an easy matter. That is to say, its definition is still relative. Therefore every researcher or thinker has his own definition, according to his point of view related to his cognitive background. Similarly, studies show that there is no agreed definition on this concept because of the multiplicity of themes it presents. The present paper is an attempt to access to the world of discourse and clarify its meaning from a technical side only.

*المؤلف المرسل ط . د. رشيد جميل جامعة البليدة 2

تقديم:

اهتمت الدراسات الحديثة بمذاهبها وتياراتها المختلفة اللغوية: السيميائية، البنيوية، التفكيكية وغيرها من الدراسات بالخطاب وعناصره المكوّنة له وبنيته ووظيفته والتمييز بين مختلف أنواعه ولقد أدى ذلك إلى تشكيل ركام هائل من المقولات التي تتناول الخطاب.

ويعد الحجاج من المسائل البلاغية والقوية التي اهتم بها الدّارسون، ويمكن أن يعد الخطاب الذي يبنى على المقصدية، إذ أنه كل خاطب يرمي إلى تحقيق غاية معنية، ويسعى إلى التأثير في الغير وقد عنيت التداولية بدراسة وكشف آليات وكيفيات تحقيق المقاصد، ومن بين هذه المقاصد التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها الإقناع، فهو وظيفة من وظائف اللّغة بالإضافة إلى الوظيفة التأثيرية والإمتاعية وغيرها، وغاية الإقناع هي التأثير في الغير، وجعل المتلقي يذعن لرأي المتكلم ويقبل به إمّا قولا أو عملا، وهذه العملية التأثيرية تدعى الحجاج.

ولقد صار الحجاج مع ظهور التداولية المدمجة في الدراسات اللسانية عنصرا كامنا في اللغة إن من حيث بنيته أو من حيث وظيفته، وبهذا يصير الحجاج فعلا كلاميا، تجب دراسته في نطاق اللّغة فهو مسرح للمحاورة والتحاج بين الذوات المتصلة، وهو بذلك يعني الطرق والآليات التي يتبناها (المتكلم) المخاطِب لإقناع (السامع) المخاطَب واستمالته والتأثير فيه لأنّه لا يمكن لأيّ مخاطب سواء كان شاعرا أم ناثرا أن يستغني عن هذا الأسلوب.

1) الخطاب كآلية تحليلية للفهم:

ارتبط استعمال مصطلح الخطاب في الثقافة الغربية بفكرة الثنائية اللغوية " اللغة الكلام " التي وضعها "دي سوسير" والذي ميّز بدقة بين اللغة والكلام " فاللغة عنده نتاج اجتماعي لملكة اللسان "[1] إذ هي ظاهرة اجتماعية عامة يشترك فيها أفراد مجتمع معين، " أمّا الكلام فهو كل ما يلفظه أفراد مجتمع معين "[2] أي ما يختارونه من مفردات وتراكيب ناتجة عما يقوم به أعضاء النطق من حركات مطلوبة " وينشأ الكلام عند "دي سوسير" انطلاقا من الدائرة الكلامية التي تفترض وجود شخصين على الأقل متكلّم ومخاطب وتكون نقطة انطلاق الدائرة الكلامية كامنة في دماغ أحد الطرفين فيكون المتكلم "[3] وفي هذا الصدد يمكن القول أن "دي سوسير" أوجب ضرورة وجود طرفين هما ركنان أساسيان في قيام الخطاب أو العملية التخاطبية ولكنه اهتم باللغة بوصفها نظاما وأهمل الكلام لأنه يتحقق في صور مختلفة لا حصر لها ويتعذر دراسة هذه الصور في الواقع، هذا الإهمال من دي سوسير كان محل اهتمام واجتهاد اللغويين فحاولوا بذلك وضع مفهوم دقيق للخطاب فلقد حدد "دومينيك مانقينو" في كتابه " الاتجاهات الجديدة في تحليل الخطاب " ثلاثة تعاريف خاصة بالخطاب وهي:

الخطاب يعني اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة وهو مرادف للكلام بتحديد سوسير.
الخطاب وحدة توازي الجملة أو ما فوق الجملة وتتكون من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية وهو مرادف للملفوظ.
استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدى الجملة منظور إليه من وجهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل أي الخطاب ملفوظ أكبر من الجملة "[4]

ومن خلال هذه التعريفات نلاحظ أن الخطاب يكتسي جانبين: جانب شكلي وجانب تطبيقي وظيفي ويتضح الأول في كون الخطاب بناء أو كتلة تفوق أو تساوي الجملة وبالتالي فهو مكون من وحدات متماسكة ومنسجمة وأما الجانب الثاني فينظر إلى الخطاب بأنه استعمال اللغة من طرف المتكلم.
وللخطاب اللغوي الذي نحن بصدده قوانين وسمات مميزة له.

2) أنواع الخطاب:

تتعدد أنواع الخطاب العربي وتختلف باختلاف مرجعياتها فكثرت بذلك تصنيفات الباحثين – هذه التصنيفات التي لا يكفي المقام لضبطها – ومن أهم التصنيفات نورد تقسيم "منذر عياشي":
الخطاب القرآني: هو خطاب إلهي، مطلق ولا نهائي في دواله ومدلولاته قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ سورة الشورى: الآية 11، كتب الله على نفسه حفظه قال تعالى ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾سورة الحجر: الآية 09.
الخطاب الإيصالي: ونماذجه متعددة سياسية وإرشادية ووعظية وقضائية وإقناعيهم واجتماعية وإعلامية، علمية، إشهارية إلى آخره. ويقول د. الجابري: " صنفنا الخطاب... إلى أربعة أصناف: الخطاب النهضوي وجعلناه يدور حول قضية النهضة عامة والتجديد الفكري والثقافي خاصة، والخطاب السياسي ومحورناه حول " العلمانية" وما يرتبط بها والديمقراطية وإشكاليتها، والخطاب القومي وركّزناه حول التلازم الضروري " الإشكالي " الذي يقيمه الفكر العربي بين الوحدة والاشتراكية من جهة وبينهما وبين تحرير فلسطين من جهة ثانية، ويأتي الخطاب الفلسفي أخيرا ليعود بنا إلى صلب الإشكالية العامة للخطاب العربي الحديث والمعاصر، وإشكالية الأصالة والمعاصرة"[5]
الخطاب الإبداعي: " الشعري" ونماذجه متعددة هي الأخرى، لكنه يتميز عن غيره بأنه خطاب يقوم على مبدأ الأجناس الأدبية وهو موضوعنا[6]

3) قوانين الخطاب اللغوي:

إن المبدأ العام للتعاون الذي يقوم عليه كلّ تفاعل لغوي يمكن توصيفه إلى مبادئ ذات بعد أضيق يسميها ‘‘غرائس" (حكم الحديث) Mascimes conversationnellesوالبعض الآخر يسميها (مسلمات الحديث) والآخرون لاسيّما "ديكرو"

يسمونها (قوانين الخطاب)، إنها القوانين المتغيرة بتغير الثقافات وقد استخرج " ديكرو" هذه القوانين في مجرى تحليل ظواهر لسانية متنوعة[7].

وبتطور الدراسات اللغوية ظهرت التداولية التي تعتبر علما جديدا في مجال التواصل، وهدفها دراسة الظواهر اللغوية أثناء استعمالاتها المختلفة في الخطاب، وهذا الخطاب يخضع لمجموعة من المبادئ والقوانين التي وضعها " غرايس" بالنّظر إلى ما يقوله وما يقصده المتكلّم دون التصريح به، وإنّ كانت هناك بعض الخطابات لا يمكن التصريح بها ويلجأ إلى استعمال صيغ بلاغية أكثر وضوحا وأحسن تأدية وإقناعا.

ومن بين هذه القوانين التي توصّل إليها الفيلسوف الانجليزي "غرايس" ما يلي:

3-1) مبدأ المشاركة:

يشكّل هذا المبدأ عند "غرايس" العمود الفقري للنّشاط الكلامي إذ يمكّن للمخاطبين ضمان التواصل، لذلك فإنّ كلّ طرف في الخطاب يعترف لنفسه وللآخر بالحقّ في التناوب على الكلام، ومفاده أنّ على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتحصّل المطلوب، بمعنى أنّه يجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار، فالخطاب يقتضي وجود نية مسبقة عند المتكلم والسامع، ومن خلالها يقصد كل واحد منهما دفع الطرف الآخر إلى الاسترسال في الكلام.[8]

ولتحقيق هذا التبادل والتعاون بين المخاطبين والوصول إلى حوار مفيد وضع "غرايس" أربع قواعد تسهم في تشكيل واستمرارية النشاط الكلامي وهي:

قاعدة الكم " Quantité": يتطلب من المتكلم أن يكون أكثر إخبارا للمستمع بإعطائه القدر الكافي واللازم من المعلومات أثناء التخاطب، وهذا للوصول إلى تحقيق التبادل فيما بينهما.

قاعدة الصدق " Qualité": يسعى المتكلم إلى أن يكون صادقا فيما يخبر به المستمع وأن يتفادى الغش أو التصريح بمعلومات خاطئة وهذا لاستمرار العلاقة وتطورها وتجنب قطعها.

قاعدة المناسبة " Relation": على المتكلم أن يجعل كلامه مناسبا للمقام الذي يقال فيه.

قاعدة الطريقة "Manver": تتطلب من المتكلم الوضوح وترتيب الكلام والإيجاز مع الابتعاد عن الغموض واللّبس أثناء التخاطب.

3-2) قانون الإفادة:

يعتبر هذا القانون محور التقاء بقية قوانين المحادثة، وقد أكّد "غرايس" أنّ كل الأحكام الأخرى تنتظم في حكم الإفادة الذي يعتبره الوحدة الأكثر إيضاحا ودقة، وأنّ الكلام يتوقف على مدى استفادة السامع من المتكلم حيث يقول " ويلس" وهو فيلسوف إنجليزي معاصر " إنّنا نعرف أن كل القواعد –قواعد غرايس– تنطوي تحت قانون الإفادة التي هي أكثر دقة وصحة من الأحكام أو القواعد الأخرى، ومن الصعب بانعدام هذا القانون جعل الكلام مفيدا "[9].

3-3) قانون الصدق:

يركز "غرايس " على أهمية الصدق في الخطاب المتمثل في قول الحقيقة كما هي موجودة في الواقع أو كما يتصورها المتكلم.

والصدق مطلوب في أغلب الخطابات، وليس كلّها فهو في بعض الأحيان نوع من الغباء وسوء التعرف والصدق انطلاقا من ذلك هو أن يعتقد الإنسان قوله الصدق بغض النّظر إذا كان في الواقع كذبا إنّما السياق هو الذي يحدد طبيعة ذلك الصدق ويرى " غرايس" أن الكذب هو أصعب شيء في عملية الخطاب، فهناك الكثير من المتخاطبين يُجيدون الكذب أكثر من الصدق فالأساس أن اللغة تخضع لمعيار الصدق لإنتاج ما يسمى الخطاب السردي، وقد أورد" أوستين" بعض الحالات التي يخترق فيها المتكلم قانون الصدق.

الأمر الأول: العواطف: حيث يكون المخاطب في حالة تجعله يتلفظ بعبارات الكره أو الفرح وهو لا يشعر بذلك مطلقا مثلا: العداوة.

الأمر الثاني: الأفكار: يلخص " أوستين" هذا العنصر في إعطاء مثالين على ذلك

المثال الأول: يتجسد في إسداء نصيحة من قبل المخاطِب وهو يعي في قرارة نفسه أن هذه النصيحة ليست في محلها.

المثال الثاني: تصريح القاضي ببراءة المدعى عليه وهو يعلم يقينا أنه مدان.

الأمر الثالث: القصد: أمر من الأمور جعلنا نعرف قانون الصدق حسب "أوستين" كأن يكون أحد الطرفين لا يرضى القيام بشيء في حين يطلب الطرف الآخر منه يد المساعدة فيتحقق فعل الكلام من دون الصدق في إنجازه[10].

3-4) قانون الإخبارية:

يرتبط هذا القانون بمقدار الإفادة التي تحدث لدى المستمع، إذ يسعى المتكلم من خلال مقصده أثناء التخاطب إلى إفادة المستمع بأكبر قدر ممكن من المعلومات وهذا حسب ما يتطلبه سياق الخطاب، ويعد هذا القانون عند " غرايس " من المكونات الأساسية لعملية التواصل الكلامي والمتمثل في رغبة المتكلم في تمثيل الفكر وتجسيده وذلك حتى يكون قدر من المعرفة والإدراك عند الطرف الآخر"

أما "ديكرو" فيرى أنّ قانون الإخبارية هو الشرط الذي يخضع له الكلام الذي هدفه إخبار السامع، ولا يمكن أن يتّم ذلك إلاّ إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه.

فالإخبار ليس الوظيفة الأساسية للغة إنّما يمكن أن توّظف لغايات أخرى مثل: التعبير عن آرائنا، وإنه شرط يخضع له الكلام للحصول على الفائدة ولا يتّم ذلك إلاّ إذا كان الطرف الآخر يجهل ذاك الخبر ولهذا يعد الإخبار هدفا من أهداف التواصل.

وقد يلجأ المتكلم في بعض الأحيان إلى إعادة الكلام للمستمع وهذا من أجل ربطه بالموضوع في حالات النسيان أو الشرود أو تراكم المعلومات لكي تكون راسخة في الدماغ وبما أن المستمع يجهل ما سيقال له فإنه يلجأ إلى التّكرار والإعادة من أجل التأكيد، لكي يستفيد منها المستمع أكثر لأنّ أكبر قدر ممكن من المعلومات المقدمة للمستمع لا يعني حجمها وعددها فقط، إنما قدرتها على إحداث الإفادة لدى هذا المستمع.[11]

3-5) قانون الشمولية:

يرتبط هذا القانون بقانون الإخبارية، وتتحقّق الشمولية بالكفاءة التبليغية للمتكّلم بما فيها معارفه واهتماماته وتلاؤمها مع سياق الخطاب وموضوعه والمتكلم يجب أن يعطي المعلومات اللاّزمة التي بحوزته عن موضوع الخطاب، التي من شأنها أن تفيد المخاطب ولكي يتحقق الموضوع لابد من استخدام لغة معينة تكون هذه اللغة مشفّرة يعرفها كلّ من المتكلم والسامع، وهذا تركيزا على الشمول أي الإحاطة بالموضوع في ذهن السامع مثلا: تصريح قائد عسكري بأنّه أضاع قرية أثناء المعركة ولكنه في الحقيقة لم يضع القرية بل المقاطعة (مجموعة من القرى)، أي أنّ هذا الخبر كاذب لأنه أخفى مجموعة من الأحداث فأعلم السامع بأشياء وأخفى عنه أشياء[12]

4) طبيعة الخطاب الحجاجي وسماته:

4-1) طبيعة الخطاب الحجاجي:

يعتبر الخطاب الحجاجي جوهر العملية التواصلية الإبلاغية غايته " استمالة الرّأي العام نحو فكرة معيّنة، هي هدف كل قائم بعملية الإقناع والتأثير ومن أجل ذلك ينصب اهتمام القائمين بالإقناع والتأثير على أفضل السبل وأقلّها تكلفة ووقتا وجهدا في الوصول إلى تغيير اتجاهات الرأي العام أو بناء اتجاهات جديدة، أو تعديلها، أو لفت انتباه الجمهور نحو قضية معينة "[13]. وهو ما يفسر أن المحاجج يتكلم بقصد التأثير والإقناع.

يتعدد الخطاب الحجاجي بتعدد الأهداف والأغراض المتوخاة منه فهناك الإشهاري الذي يستهدف استمالة الزبون (السلعة المادية والمعنوية) باعتبار أن " الحجاج والإشهار، بوصفها عمليتين لسانيتين وعقليتين، تعتمدان مبدأ استمالة الآخر وترويض مشاعره وفكره تمهيدا لتعديل سلوكه ومواقفه العامة من الأشياء المادية والفكرية المشكلة لرؤية العالم عنده، مع تبيان أنواع الحجج، وكيفية بنائها وترتيبها في الخطاب الإشهاري تحقيقا للترابط النّصي وتفسير بنياتها.....وفي هذا السياق يمكن تحديد كفاءة الخطاب الإشهاري وقوته الإنجازية من حيث هو فعل كلامي كلي مقامي "[14]

فالخطاب الإشهاري يتصل بالحياة الإنسانية بالنظر إلى قيمته الاجتماعية والأخلاقية والحضارية والتجارية والثقافية، ذلك أن الإشهار بناء لغوي دال يهدف إلى الإقناع، فهو ذو بعد تأثيري قائم على الترويج للأفكار والسلع، فالعملية الإشهارية في صميمها فعل اجتماعي اقتصادي.

وهناك الخطاب العلمي الذي يهدف إلى تبليغ الأفكار المختلفة عن طريق الشرح والتحليل وصولا إلى البيان والتبيين أو (الفهم والإفهام). بلغة الجاحظ الذي حدّه بقوله " والبيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحُجُب دون ضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أيّ جنس كان ذلك الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[15] فالجاحظ بسط مفهوم البيان الذي يتحقق بواسطة الخطاب، بمختلف آلياته اللغوية المستعملة من طرف المرسل لإقناع المتلقي بها.

وهناك الخطاب الإعلامي، وغايته الإخبار أو " نشر معلومات (حقائق أو مبادئ أو مجادلات أو إشاعات أو أنصاف حقائق أو أكاذيب) وفق اتجاه معين من جانب فرد معين أو جماعة في محاولة منظمة للتأثير في الرأي العام وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير "[16] ويسعى بدوره إلى التغيير في مواقف المتلقي وأفكاره.

أما الخطاب الحجاجي الذي يوسم " بكونه نصا مترابطا متناغما يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضرورة واضحة جلية بل قد تأتي على نحو خفي نلمحه"[17]، إضافة إلى ذلك قد نجد بعض الخطابات الحجاجية لا يمكن تصنيفها داخل تخصص ما وتظهر هي الأخرى في شكل نصوص متماسكة ومتناغمة.

يتأسس الخطاب الحجاجي على مجموعة من الحجج غايتها الإقناع وذلك ما ذهب إليه "فينو vignausc" حينما اعتبر أن: " الخطاب الحجاجي خطاب غائي، وينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضرورة، لأن هناك خطابات ذات غاية شخصية خاصة لا تهدف إلى إقناع الآخر، مثل السير الذاتية والمذكرات والكتابات الحميمية.... أمثلة لخطابات غائية ليست حجاجية"[18]، ومن ثم حاول " فينو vignausc" اعتمادا على مفهوم الغائية أن يرسم مجموعة من التطورات والافتراضات، تتعلق بتصوّره للمتلقي، مركّزا في ذلك على المنطق الطبيعي، وبالاعتماد على المفاهيم التي طرحها "كريزGrize" في تصوره للنّظرية الحجاجية وتتمثل هذه الافتراضات فيما يأتي[19]:

تكون الخطابات الحجاجية الغائية منبثقة من قضايا أو أطروحات تكوّن استدلالا وتترجم بكيفية مباشرة أو غير مباشرة موقف الخطيب من إثباتات وأحكام وانتقادات.

تحيل دائما في مضمونها إلى عنصر آخر وُسم أم لم يوسم في الخطاب " فرد، مجموعة، حالة اجتماعية، رأي عام....."

يتحدّد الخطاب الحجاجي إذن بكونه يسم موقف الخطيب اتجاه موضوع أو مجموعة من المواضيع، وهو موقف يحدد مكانة الخطيب داخل التشكيلة الاجتماعية، ويتحدد دائما بالآخر كمرجع تحديدي.

يتحدث الخطاب الحجاجي عن كائن إيحالي يوجد خارج الخطاب، ويتكون الخطاب الحجاجي من أشياء تتعلق فيما بينها بمؤشرات مادية أو مكانية أو زمانية، كما يتحدث عن مواقف وآراء ومعايير تمثل تيارات أو أنساقا من القيم، وعن سلوكات عامة أو مرتبطة بأوضاع خاصة، تعبّر عن علاقة الأفراد أو المجموعات بالمعايير الاجتماعية.

4-2) سمات الخطاب الحجاجي:

انطلاقا من هذه التطورات يتراءى لنا أن الخطاب الحجاجي كخطاب متميّز يختلف عن بقية الخطابات الأخرى، وقد حاول بعض الدّارسين تحديد ورصد سماته المائزة، ومن ذلك ما قام به " "بنوارونو"Benoit Renaudمن خلال كتابه النّص الحجاجي " Le texte argumenté " حيث استخلص الميزات التالية:

4-2-1) القصد المعلن:

المقصود به البحث عن إحداث تأثير ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يسميه "طه عبد الرحمان"بالإقناعية والتي عدّها من شروط التداول اللغوي وفي ذلك يقول: "فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تُدْرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل عرضها استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور"[20]

كما " تكمن السمة القصدية للحجاج في تحديد العلاقة الحجاجية حين نعتبر العبارة"س" موجهة لخدمة "ج" تتحقق السمة القصدية "[21]وقد أدرك رجال الإشهار أهمية هذا الأمر ونجحوا في استغلال هذا الشكل الناتج من أشكال التواصل[22]. الأمر الذي يجعل كل مرسل للخطاب يسعى إلى توظيف القصد المعلن مثل رجال السياسة، ورجال الإعلام وغيرهم.

4-2-2) التناغم:

يعتبر التناغم من أهم الخصائص التي تميّز الخطاب الحجاجي عن الخطابات الأخرى باعتباره خطابا مستدّلا عليه، فهو "يقوم على منطق ما في كل مراحله، ويوظّف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات، سواء تعلّق الأمر بالفتنة (L'envoutement) أو الانفعال (L'émotion) أو إحداث مجرد تقدم (Progression) وهو ينم من هذا الوجه

عن ذكاء صاحبه ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدرته وآفاقه". فالخطاب الحجاجي هو خطاب مرتبط متناغم، يقوم في أساسه على أطروحة ظاهرة أو خفية.

4-2-3) الاستدلال:

يعتبر الاستدلال سياق الخطاب الحجاجي العقلي أو تطوره المنطقي، لأن الخطاب الحجاجي يقوم على البرهنة لذا يتوجّب أن يكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها، إلى حماية مشتركة. ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس ذلك أن الخطاب الحجاجي في أبسط صوره هو ترتيب عقلي للعناصر اللغوية يستجيب لنية الإقناع وهو ما يسميه طه عبد الرحمان بالاستدلالية[23].

4-2-4) البرهنة:

وهي الطريقة التي توظف فيها الحجج لحمل المتلقي على الإذعان " وإليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها "[24].وبواسطتها يسعى المحاجج إلى تبليغ معارفه بأقل جهد وفي أقصر وقت

إضافة إلى الصفات المائزة التي ذكرها " بنوارونو Benoit Renaud" توجد هناك سمات أخرى في رصد حدود الخطاب الحجاجي منها.

4-2-5) الحوارية أو التحاورية:

يعتبر "طه عبد الرحمان" الحوارية من مسلّمات القياس الخطابية ويرى أن مقتضاها " أنه لا كلام مفيد إلا بين اثنين، لكلّ منهما مقامان هما: مقام المتكلّم ومقام المستمع، ولكل مقام وظيفتان هما: وظيفة المعتقد ووظيفة المنتقد، بحيث إذا كان المتكلّم معتقدا كان المستمع منتقدا، وإذا كان المستمع معتقدا كان المتكلم منتقَدا".

ومن ثم فالحوارية لا تتحقّق إلاّ بوجود متخاطبين تجمع بينهم معارف وخبرات.

إن الخطاب الحجاجي في جوهره حوار بين باث ومتلقي، حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسس الخطاب ومتلقيه، لأنّ " المحاور يتوجه إلى غيره مطلعا إيّاه على ما يعتقد وما يعرف، ومطالبا إيّاه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه، وفي هذا " الاطلاع" وهذه " المطالبة" يكمن البعد الاجتماعي للحوارية[25] "فالعلاقة بين المرسل والمتلقي تتخّذ أشكالا عديدة يكشفها الخطاب الحجاجي ذاته، باعتباره يراهن أحيانا كثيرة على إقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين بما جاء فيه، بل قد يطمح أحيانا إلى إقناع ما يسمى "بـ" المتلقي الكوني "[26]

4-2-6) التخطيط Schématisation:

وتتمثل في الإعداد سلفًا لكيفية بناء النص الحجاجي وفق معايير معينة، فحينما نحتّج " لموضوع ما أو لأطروحة معيّنة يعني أنّنا نرسم عن طريق الخطاب كونا مصغّرا يمثل النموذج الأمثل بوضعية ما لكن دون أن يعكس مقتضيات البناء العلمي مع الاعتماد أساسا على بعد حواري "، أي لابد من التزام سلميّة معينة في عرض القضية المطروحة والعناصر المكوّنة لها في الخطاب الحجاجي، ويتضح ذلك بشكل جلي في الخطاب الإشهاري الذي يهدف إلى استمالة الزبون بغرض إقناعه بالعرض المقدم.

4-2-7) الانتقاء أو الانتقائية:

تعتبر الانتقائية مهمة في تحقيق الفاعلية الإقناعية باعتبارها انتقاء لمكونات الخطاب، والتي ينتهجها المحاجج في بناء خطابه، وتتمثّل في " انتقاء العناصر المكونة لهذا العالم بشكل دقيق وموجّه أي بشكل يساير فيه تلك العناصر المنتقاة غاية الخطاب من جهة، وتلائم وضع المتلقي وقدراته وتستجيب خاصة لآفاق انتظاره من جهة أخرى "27وعلى المحاجج أن يكون دقيقا في اختياره للمؤشرات التي تمكّن المتلقي من التأويل السليم للطّرح المقدّم.

4-2-8) الغائية:

يعتبر الخطاب الحجاجي غائيا، وهو ما توصل إليه " فينو vignausc" من خلال كتابه " الحجاج، محاولة في منطق الخطاب 1967" غير أنّه ينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضرورة، لأن هناك خطابات ذات غاية شخصية خاصة مثل: المذكرات، السير الذاتية وغيرها. أما على مستوى الخطابات الحجاجية فالأمر يختلف لأنها تسعى إلى الإقناع لا السرد أو الإبلاغ فقط. " فمن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بمايراه، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي " فالغاية من الحجاج هي تعديل أو تغيير فكرة أو حكم.

تسعى كل هذه السمات إلى تمييز النّص الحجاجي عن بقية النصوص الأخرى، وتسهم في بنائه لأنّ غايته إخبار المخاطب نمطا معينا من النتائج بغرض الإقناع.

5) دلالة العنوان في حالة حصار:

يشكل العنوان عتبة النّص الأولى وأول محطات الحوار معه كما أنّه أول مثير نصي تصرّح من خلاله انطباعات وتساؤلات وفرضيات ممّا يجعل قارئ العمل منجذبا إلى عالم النص للبحث عن إجابات لتلك التساؤلات ليصل إلى تأويل صحيح وفهم عميق[27]

حديثنا عن أهمية العنوان في النّص الشعري باعتباره نصا فرعيا يختزل النّص الأصلي يتطلب منّا فحصه واستنطاقه وذلك لا يأتي إلا بعد العثور على مفتاح هذا العنوان بعد قراءات متعددة للنّص بدأت تلوح لنا في أفقه بعض الملامح التي يمكن الاهتداء بها إلى فهم عنوان النص.

5-1) الأفعال اللغوية:

يرى فاين إيميرين وغروت ندرورست "أنّ الأفعال الكلامية من الأدوات اللغوية الفعّالة في الحجاج كما يريان أيضا أنّ الهدف من الخطاب هو الفيصل لوصف الخطاب بأنّه خطاب حجاجي من عدمه وذلك لأن الهدف من الخطاب الحجاجي هو التأثير في المخاطب ودفعه إلى اتخاذ قرار ما وتغيير معتقداته[28] ومن أجل ذلك قام الباحثان بتتبع دور كل صنف من الأفعال الكلامية التي صنفها " سورل" فوجد أن بعضها ذو الطابع حجاجي أما البعض الآخر فليس له ذلك الدور.[29]

الاستفهام:

يعد فعل الكلام التوجيهي الاستفهام من أنجع الأفعال الكلامية حجاجا، وطرح السؤال يمكن أن يضخّم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الاقرار بالجواب، كما يمكن أن يلطّف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم30 فالاستفهام يقوي الكلام حجاجيا لأنّه يولّد نقاشا ومن ثم حجاجا وهذا لكونه وسيلة لإثارة المتلقين ولفت انتباههم إلى موضوع ما، ومن ثم دفعهم إلى القيام بعمل ما، وهذا ما أورده محمود درويش في قصيدته فلقد أكثر من استعمال هذا الأسلوب مستنكرا ما يحدث للشعب الفلسطيني من أحداث ومواقف لا يمكن للعقل أن يصدق حصولها ولا يمكن للإنسان أن يسكت عنها فحاول الشاعر بهذا الأسلوب رفع درجة الوعي لجذب أكبر قدر من الأصوات الرافضة لكلّ ما يحصل عسى أن يأتي اليوم الذي ترتفع فيه هذه الأخيرة لتحقيق أهدافها بالتّحرر والتخلص من المضطهد وكمثال على ذلك قوله:

إلى قاتل آخر لو تركت الجنين ثلاثين يوما
إذًا لتغيّرت الاحتمالات
قد ينتهي الاحتلال ولا يتذكّر الرّضيع زمن الحصار
فيكبر طفلا معاقا
ويدرس في معهد واحد مع إحدى بناتك
وقد يقعان معًا في شباك الغرام
وقد ينجبان ابنة وتكون يهودية بالولادة
ماذا فعلت إذا؟
صارت ابنتك أرملة
والحفيدة صارت يتيمة
فماذا فعلت بأسرتك الشاردة؟
وكيف أصبت ثلاث حمائم بالطلقة الواحدة ؟

نلاحظ أنّ الشاعر يتساءل – ويظل متسائلا حتى نهاية القصيدة – مكرّرا أداة الاستفهام " ماذا" هذا التكرار أتى به الشاعر لغرض استنكار ما يحدث أمامه فأسلوب الاستفهام هذا يحوي قوة حجاجية تجعل المتلقي يتعاطف مع المخاطب الذي حلم بأبسط ما يكون وهو حالة حب وزواج.....، ونلاحظ أنّ الشاعر وجّه خطابه بصيغة الإبهام "إلى قاتل آخر" وإن كنّا نعرف دائما أنّ القاتل ليس غير ذلك اليهودي الذي يدعوه الشاعر إلى التريّث ليعرف طريق السلام وهكذا تسرق القصيدة ذلك الحلم الوردي، الذي لم يتجاوز في الحقيقة دائرة الأحلام الكاذبة وكذلك تجده يستعمل الأداة " كيف" في قوله كيف أصبت ثلاث حمائم بالطلقة الواحدة؟ للإشارة إلى الطفل العربي ربما كان محمد الدرة لو أمهله القاتل الذي كان سيكبر معافى ويدرس في معهد واحد مع ابنة القاتل اليهودية ليقعا معا في شباك الغرام، ويتزوجا وينجبا الحمامة الثالثة يا له من حلم. هو بسيط من جهة ومستحيل من جهة أخرى، وهنا تكمن قوة الاستفهام في إظهار مفارقات الحرب

الأمر:

يتميز أسلوب الأمر بقدرته على منح المتكلم شعورا بالقوة وهو من الأفعال الإنجازية لأنّه يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين كما أنّه يعتبر تعبيرا عن المشاعر والانفعالات الداخلية المختلجة في نفس الشاعر التي يعبر عنها لتعكس توتّره الداخلي وتلهب مشاعر الآخرين وتحملَهم على التغيير والتفاعل مع الغضب [31] ولذلك نجد الشاعر محمود درويش قد استثمر هذا الأسلوب لماله من قوة حجاجية وقدرة على تحريك المشاعر فيقول:

أَيُّها الواقفون على العَتَبات ادخُلُوا،
واشربوا معنا القهوةَ العربيَّةَ
فقد تشعرون بأنكمُ بَشَرٌ مثلنا.
أَيها الواقفون على عتبات البيوت!
أُخرجوا من صباحاتنا،
نطمئنَّ إلى أَننا
بَشَرٌ مثلكُمْ!
نَجِدُ الوقتَ للتسليةْ

الشاعر يدعو إلى الدخول وشرب القهوة من جهة، والخروج من هذا الوطن من جهة أخرى فكيف تكون دعوة الأعداء إذن إلى الدخول والخروج في الوقت ذاته؟ ربما هي دعوة للخروج من حالة الحرب وحالة الحصار إلى الدخول في حالة السلم.

لقد جاءت صيغة الأمر " ادخلوا، اخرجوا" لتعكس حالة اضطراب الموقف العربي الحالم بسلام لا يعرف الطريق إليه، اضطراب يشي به هذا الموقف المتردّد بين روح وثّابة تنطق به عبارة " اخرجوا من صباحاتنا" وروح هيابّه ترتدي رياءً لباس الحكمة وهي تدعوا الخصم إلى المصالحة تنطق به عبارة "ادخلوا واشربوا معنا القهوة العربية"

النفي والإثبات:

مثلما يكون الحجاج بالاستفهام فإنه يكون بالنّفي وهذا لأن النّفي يعد وسيلة من وسائل الإقناع، طالما لكل كلام قوة تأثيرية تكسبه قوة حجاجية [32] فالنّفي أسلوب لغوي يقصد به النقض والإنكار، وهو يدل على تعدد الأصوات، إذ يسمح للمتكلم بالتعبير المتزامن عن الصوتين المتقابلين، الصوت الذي يتبنى جانب الإثبات وصوت المتكلم المتبني للنفي فالنفي يشير إلى إثبات ضمير ويرد عليه[33]

ونجده يستخدم هذا الأسلوب في الكثير من المواضع في القصيدة

قال مُعْتَقَلٌ للمحقّق: قلبي مليء

بما ليس يَعْنيك، قلبي يفيض برائحة المرْمَيّةِ.

قلبي بريء مضيء مليء،

هكذا قال مُعْتَقَلٌ للمحقّقِ: عاطفتي لا تَخُصُّكَ.

عاطفتي هي ليلي الخُصُوصيُّ...

ليلي الذي يتحرَّكُ بين الوسائد حُرّاً من الوزن والقافيةْ!

ينكر الشاعر على المحقق اليهودي جرم الاعتقال لأتفه الأسباب، ومنذ متى تعتبر المشاعر البريئة جرما يؤدي بصاحبها إلى المعتقلات، هذا الذي أثبته الشاعر في قوله " عاطفتي ليلى الخصوصي " أي أنا حرفي عاطفتي لكن للأسف لم أجد مكانا أو زمانا لهذه العاطفة إلا في الليل بين الوسائد.

إن النفي في هذا الإطار عرض موقفين أو صورتين: الاعتقال لأتفه الأسباب، وحرية العاطفة والإحساس وهدف الشاعر من هذا هو رفض الظلم وإنكاره.

لقد أكثر الشاعر من استعمال هذا الأسلوب في قصيدته ليخلق نوعا من المفارقة عن طريق إثبات الشيء ونفيه وهذا لأنه يهدف إلى تجريم كل ما يقوم به اليهود.

خاتمة:

ونخلص الى مجموعة الى النتائج التالية:

– مفهوم الخطاب قابل للتأويل حسب الحقل المعرفي الذي يستعمل فيه وهو متعدد بسبب تباين الاتجاهات التي ينتمي إليها الباحثون.

– الخطاب عموما وحدة بلاغية تواصلية ناتجة عن مخاطِب معين موجهة إلى مخاطَب معين في سياق ومقام معينين غايته الإفهام والإقناع.

– الخطاب الحجاجي متميز يختلف عن بقية الخطابات الأخرى بفضل مجموعة من السمات المميّزة له وهو ناجع متى أحسن المخاطب انتقاء العناصر المكونة له.

قائمة المصادر والمراجع:

1- رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ص71.

2- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل، الجزائر، 2005، ص 78.

3- رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 72.

4- حاكم عمارية، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي، دار العصماء دمشق، ط 1، 2014، ص 59.

5- المرجع نفسه، ص 19.

6- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 2008، ص81، 82.

7- باتريك شارودو، دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص364.

8- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص .33

9- المرجع نفسه، ص 41، 42.

10-محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق ص43

11- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 43، 44.

12-محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 47.

13- عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي، خلفياته النظرية وآلياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2006، ص9.

14- أبي بكر العزاوي الخطاب الإشهاري والقيمة الحجاجية، تاريخ الزيارة: 2019/07/19، على الموقع: https: //www.asjp.cerist.dz

15- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، ج1، المكتبة العصرية، لبنان، 2001، ص56.

16- عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي، مرجع سابق، ص 14.

17- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب، أربد، ط1، 2008، ص26.

18- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 47.

19- المرجع نفسه، ص 91، 92.

20- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2007، ص38.

21- محمد طروس، النظرية الحجاجية، مرجع سابق، ص110.

22- سامية الدريدي، الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة "بنيته وأساليبه"، مرجع سابق، ص62.

23- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص36.

24- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة "بنيته وأساليبه"، مرجع سابق، ص 27.

25- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 37، 99.

26- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، مرجع سابق، ص28.

27- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، مرجع سابق، ص 31.

28- رشيد بن قسيمة، قراءة سيموأسلوبية لديوان حالة حصار، مجلة قراءات ع4، جامعة بسكرة، 2016ص6.

29- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 482

30- المرجع نفسه ص .484.

31- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق ص.509

32- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق ص 485

33- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، علم المعارف الكويت، 1992 ص 94.